العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والعالم الخارجي في العهد الموحدي

أ. / رضا رافع
قسم التاريخ - جامعة الجزائر2

يجمع الباحثون على صعوبة تتبع المسار التاريخي للحياة الاقتصادية في المغرب الإسلامي عموما خلال العصر الوسيط، ويرجع هذا أساسا إلى نقص الوثائق وورودها على شكل متفرقات، ونقص المصنفات الخاصة بتاريخ المدن[1].

وسنحاول في هذه الدراسة تتبع العلاقات التجارية في عهد الموحدين مع مختلف الأقطار، سواء الأندلس أو أوربا، أو المشرق أو جنوب الصحراء، فالدولة الموحدية التي حكمت قرابة قرن ونصف قرن (524-668هـ / 1129-1269م) وامتدت أراضيها من حدود المغرب الأدنى إلى الأندلس، تنوعت علاقاتها التجارية، وسنركز على إقليم المغرب الأقصى[2] لعدة اعتبارات، منها كونه امتدادا لإقليمي المغرب الأدنى والأوسط أي أنه منطقة أطراف، إضافة لاتصاله بمنطقة الأندلس، إذ يفصل بين القطرين مسافة لا تتجاوز 15كم، وبذلك كان لهذا المضيق أهمية بالغة. كما أن المغرب الأقصى يتصل بمنطقة الصحراء من ناحية الجنوب، وقد بلغ الاتصال ذروته عند تدفق المرابطين من الصحراء جنوب المغرب' وبالتالي يمكن اعتبار

مدن المغرب الأقصى كنموذج لدراسة فترة الازدهار الاقتصادي التي شهدها المغرب الأقصى خاصة في عهد الخلفاء الموحدين الأوائل.

لقد تعددت المراكز التجارية بالمغرب الأقصى في عهد الدولة الموحدية حيث نشطت بها الحركة التجارية، وأهمها مراكش وفاس ومكناسة واي(❖) وأغمات[3]، يقول المؤرخ عبد الواحد المراكشي – الذي عاصر الدولة الموحدية- واصفا فاس "ولا أعلم بالمغرب مدينة تحتاج إلى شيء يجلب إليها من غيرها، إلا ما كان من العطر الهندي سوى مدينة فاس، فإنها لا تحتاج إلى مدينة..."[4]، وكذلك مكناسة التي امتلأت بالأسواق العامرة والتجارات المختلفة، يقول صاحب الروض الهتون"... وعمرت المدينة.. ونفقت الأسواق وقويت التجارات، وصار المسافرون ينزلون بالمدينة ويبيعون ويشترون، وكانت المدينة بداوة ثم تمدنت واكتسبت حضارة. .."[5] دون أن ننسى سجلماسة التي كانت مركزا تجاريا عالميا، إضافة إلى مراكز تجارية توصف بأنها صغيرة، كمدينة صفرو، وتادلا.

أما المواد التجارية فقد تنوعت، فمن الصادرات نجد الحاصلات الزراعية سواء القمح والشعير أو الفول والحمص والعدس[6] وأنواع التمور المجففة، والقطن ومشتقاته، خاصة من فاس، والزيتون والزيت المستخرجة منه وتحديدا من مكناسة، وقصب السكر خاصة من سلا، والسكر المعروف بالطبرزد[7] خاصة من مراكش والحناء والصوف والجلود والشمع والتين والجوز

واللوز والعسل من طنجة، والأكسية والثياب والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والعطر وآلات الجريد المصنوع من أغمات وريكة، أما الصادرات من المعادن فنجد الملح خاصة من فاس، والتي توفرت على الملح الأبيض والنحاس الأصفر المسبوك، وكذا الحديد والزئبق، خاصة بعد زيادة الإنتاج[8].

كما احتوى المغرب الأقصى على ساحلين الأول يطل على بحر الروم (المتوسط)، والثاني يطل على المحيط الأطلسي، ونتيجة لهذا فقد امتلك عدة موانئ سهلت ربط العلاقات التجارية، فقد كانت تستقبل السلع القادمة من بلاد السودان والمدن المغربية، لتصدر إلى الدول الأوروبية والمشرق[9]، وفي نفس الوقت كان مصدرا للثروة السمكية، خاصة الحوت المعروف بالقنادل[10] والشولة، وبعض الحيوانات البحرية والأصداف خاصة من سبتة.

أما ما كان يحتاجه المغرب الأقصى ففقد كان يلجأ إلى استيراده ويتمثل في الذهب[11] وهو مادة نادرة في المنطقة، والعطر الهندي، فقد ذكر المراكشي أن التجار يلجأون لاستيراده من الهند[12]، وبعض المنتوجات الحريرية والقطنية[13] واللؤلؤ والمرجان والأحجار الكريمة[14] والخدم والعبيد، وبعض الأدوات الخشبية لمختلف الأغراض[15].

ونظرا لاختلاف تواجد مناطق استيراد هذه المواد، فقد أقام المغرب الأقصى علاقات تجارية مع أوربا والأندلس والمشرق وجنوب الصحراء، ولاستيراد الحاجات وتصدير الفائض.

وسنفصل في العلاقات التجارية مع أوروبا ثم المشرق ثم الأندلس، وأخيرا جنوب الصحراء.

أ- المغرب الأقصى مع أوروبا :

كانت العلاقات التجارية قائمة بين المغرب الأقصى وأوروبا قائمة من أيام المرابطين، خاصة مع الجمهوريات الإيطالية[16]، حيث زاد إقبال أوروبا على تجارة المغرب، ممّا أدّى إلى انتشار الدينار المرابطي فوصل القسطنطينية[17].

وبمجيء الموحدين ازدهرت العلاقات التجارية ازدهارا، بفضل أسطول قوي يجوب المتوسط يحمي القوافل التجارية [18]، فأقيمت علاقات مع فرنسا، وانجلترا، وفلورنسة، وصقلية، وجنوة، وبيزة[19]، وأقام تجار المغرب الأقصى علاقات تجارية مع نظائرهم الأوروبيين[20]، وأبرموا معهم معاهدات تجارية في أوقات السلم، لأن الحروب الحاصلة رغم جانبها السلبي، إلا أنها وثقت الصلات التجارية بين الشرق والغرب[21]. وكانت المعاملات مبنية على الثقة في كثير من الاحيان، مما انعكس على العلاقات الشخصية بين التجار، من قيام صداقات، وتبادل الهدايا بين التجار. بغض النظر عن ديانتهم.

وعقدت جمهورية بيزا معاهدة تجارة وسلم مع أبي يوسف المنصور، لمدة 25 سنة (سنة 581هـ/1186م)، تضمن حرية تجارة بيزا في سبتة، ووهران، وغيرهما[22]، بعد أن خسرت علاقاتها التجارية في عهدالخليفة الموحدي الأول عبد المؤمن بن علي، بسبب علاقتها مع بني غانية. واتّصل التجار بالخليفة الموحدي المنصور ليبيّنوا له الصعوبات التي تعترضهم، ويؤيد ذلك الرسالة التي بعثها قنصلهم إلى أبي يعقوب بتاريخ 19 ماي 1189م، ذكر له فيها أهم المشاكل التي يلاقيها هؤلاء التجار، وآملا أن يجد الخليفة الحلول المناسبة من أجل السير الحسن للتجارة[23].

كما ارتبطت جنوة بعلاقات مميزة مع الدولة الموحدية[24]، منذ عهد الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي واستطاعت أن تحصل في سنوات 53-54-60-1161م على معاهدات تجارية[25]، فاز الجنويون بمقتضاها على امتيازات كبيرة تتعلق بأمنهم لارتياد الموانئ المغربية، فقد كان القنصل أوتون البرسيني Ottone Albercini يتفاوض سنة 1161م، من اجل إعطاء التجار الجنويين حرية الحركة التجارية في الإمبراطورية الموحدية[26]. هذا وقد نال الجنويون نصيبا وافرا من تجارة المغرب الأقصى الخارجية، سواء عن طريق سبتة وهي نقطة اتصال المغرب بإسبانيا الإسلامية، أو عن طريق آسفي، وسلا، وهنين، وهي مراكز هامة، تستقطب التبر المستورد من بلاد السودان[27].

في عهد الخليفة المنصور أعطى ضمانا لتجار جنوة، مخفضا لهم الضرائب على البضائع بنسبة فاقت 50 ٪[28].

كما كانت العلاقات التجارية بين مرسيليا والمغرب الأقصى[29]، متميزة وأكثر أهمية، وبفضل الدراسة التي قام بها بلونكار Blancard، عن الوثائق التجارية للمغرب الأقصى وأعداد التجار المسيحيين الذين أقاموا بالمغرب من أجل عروضهم التجارية، حيث وصل عدد التجار المترددين على مدينة سبتة خلال الأعوام 1160- 1164م إلى 1683 تاجر، وفي سلا إلى 390 تاجرا، كما يدل قانون مدينة مرسيليا الخاص بتنظيم تجارة المرسيليين في بلاد المغرب، وخاصة تجارة الخمور، على المكانة المتميزة لهم[30]. كما وقع آل ماندويل بمرسيليا بين عامي 1212 و1246م عقدا يبيعون بمقتضاه لمدينة سبتة قطعا من النقد العربي في مونبيليه[31].

بفضل هذه المعاهدات، تحكمت الجمهوريات الإيطالية على وجه الخصوص في شرايين الحياة التجارية في غربي المتوسط، حيث استقبلت موانئ المغرب الأقصى السفن المسيحية، وأقامت الجاليات المسيحية من التجار في فنادق خاصة بها[32] لخزن سلعهم، وكانت السفن المسيحية تنقل سلعها إلى السواحل المغربية وتأخذ في نفس الوقت ما تحتاج إليه، كما أصبحت تنقل حجاج الغرب الإسلامي كحمولة زائدة تضمن لها موردا إضافيا [33].

ويرى الباحث السوداني عز الدين أحمد موسى أن تجار المغرب كانوا يقومون بإعادة سك نقودهم في أوروبا لتعادل سكتهم[34]، كما كان يحدث في صقلية مثلا، التي تشترط إعادة سك العملة الإسلامية في دور ضربها، وهم يفعلون نفس الشيء عندما يدخلون بلاد المغرب الإسلامي، ولكن الأمر لا يبدو كذلك دائما، لأن العملة الموحدية كانت أساس النقد مع بعض الأقطار الاوربية التي لا تشترط اعادة سك العملة الاسلامية، وعلى هذا فقد نالت العملة الموحدية الذهبية شهرة دولية[35]، كما عرف الدينار الموحدي باسم لاماسمودينا La masmodina، فقد ورد هذا المصطلح في ميثاق القديس فيكتور بمرسيليا. وظلت العملة الموحدية متداولة في أوربا، حتى هزيمة الموحدين في موقعة العقاب[36].

ب- المغرب الأقصى مع الأندلس :

نشطت العلاقات التجارية بين مدن المغرب الأقصى ومدن الأندلس فالمنطقتين تربطهما علاقات تجارية قديمة، كما أنّ المسافة التي تفصلهما لا تتجاوز خمسة عشر كيلومترا وإن تميزت في بداية الدولة الموحدية بالاضطراب والتدهور بسبب الفتن والحروب القائمة ابان مرحلة الانتقال، يقول صاحب المعجب في هذا الصدد". .. فاتصلت الحروب وغلت الأسعار، وتوالت الفتن، وعم الجدب، وقلت المجابي، وكثر على الإسلام المحن بالعدوتين "[37].

وكان تجار الأندلس، خاصة من النصارى يقصدون الموانئ الرئيسية، **كسلا** مثلا، وكانت لهم بها مستودعات في **فاس** وغيرها[38]. حيث كان الأندلس يصدر إلى المغرب الأقصى كثيرا من البضائع كالأقمشة والألبسة الصوفية والزعفران والخوخ المجفف وقطع الجلود[39]، ومختلف أنواع الفواكه، رغم وجودها بكثرة في أراضي المغرب الأقصى، ولكن يبدو ان النوعية الممتازة لفاكهة الأندلس – خاصة من اشبيلية – هو ما دعا الى استيرادها بكميات معتبرة، وحتى بعض المعادن النادرة في المغرب الأقصى[40] كالزئبق الذي يستورد من **شلون** وهي على أربع مراحل من قرطبة، ويصدر إلى جميع أنحاء المغرب الأقصى.

واستوردت الأندلس الأقمشة الجميلة وبعض أنواع الأطعمة[41]، واشتهر العديد من الأندلس على غرار علي بن أحمد المتوفى سنة 570هـ وهو من أهل **طليطلة**[42]، وعبد المالك بن عمر بن خلف الأزدي المتوفى سنة 580 هـ، الذي كانت له تجارة كبيرة يديرها في فاس[43]، وأحمد بن عمر الخزرجي المتوفى سنة 610هـ والذي كان متخصصا في تجارة التبر، ولعب سوق العطارين بالأندلس دورا فعالا في تسهيل الصفقات بين تجار العدوتين[44]. كما كان تجار المغرب الأقصى يحبذون مدينة **بلنسية**، حيث بها أسعار المنسوجات معقولة[45]، وبالتالي يمكن اعتبار العلاقات الاقتصادية بين الأندلس والمغرب الأقصى خصوصا وشمال إفريقيا عموما مختلفة على ما هي بين أوروبا المسيحية والمسلمين[46].

كما كان تجار المغرب الأقصى يقصدون **برشلونة** لشراء اللؤلؤ، و**المرية** لشراء المرجان[47]، كما وتميزت **مالقة**، بعلاقاتها التجارية المختلفة، يقول فيها ياقوت الحموي أن المراكب تقصدها بكثرة والتجار لاسيما من المغرب[48].

كما كان الموحدون يتخذون **إشبيلية** سوقا لتجارة الرقيق، يباع فيها السبي من النصارى بعد أن يغنموهم من الغزوات[49].

ونشطت تجارة **مارسية** بفضل مراسيها على ساحل البحر، فكان التجار يتجهون منها إلى مختلف البلدان، على غرار **طرطوشة**، التي قصدها تجار المغرب الأقصى، لأنّها تقع على حدود البحر وأسواقها عامرة طول السنة بالمنتجات والتجار[50].

جـ- المغرب الأقصى والمشرق :

تسلط بعض النوازل الضوء على بعض مظاهر التجارة بين المشرق ومنطقة المتوسط[51]، وحقيقة الأمر أن العلاقات التجارية بين المشرق والمغرب الأقصى قد توسعت منذ أيام المرابطين مع مصر والعراق والهند والصين[52]. وزادت ازدهارا أيام الدولة الموحدية، فقد كان تجار الكوفة وبغداد والبصرة يتخذون المغرب الأقصى، منطقة يتوجهون منها بقوافلهم إلى غانة وبلاد السودان[53]، كسجلماسة مثلا[54]. يقول الجغرافي ابن حوقل : "... وكانت القوافل تجتاز المغرب

إلى سجلماسة، وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون... وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة"[55].

كما يلاحظ أن العلاقات مع مصر كانت متميزة جدا، نظرا لوقوعها في طريق قوافل الحجاج، وغالبا ما تكون محملة بالبضائع المغربية[56]، ويفيد ابن عذارى أن أحد تجار **الإسكندرية** كانت له رحلات تجارية إلى فاس، حيث سافر من تلمسان إلى فاس وكان ذا رحل كبير ومال فباع واشترى ثم سافر من فاس إلى الإسكندرية وبلاد المشرق وعاد إلى فاس مرة أخرى[57].

ومن المعروف أن التجار الذين توجهوا نحو المشرق تميزوا بالغنى والثروة، لأن البعد والمشقة ينعكسان على غلاء السلعة وندرتها، يقول ابن خلدون في هذا الصدد أن سعر السلعة يزيد في حالة جلبه من أماكن قاصية كحال تجار السودان، الذين يزداد ثراؤهم بسبب تنقلهم، وكذا غلاء سلعتهم[58].

وقد قامت القبائل العربية بتأمين الطرق نحو المشرق فقد فرضوا طاعتهم على الطريق التجاري من الإسكندرية إلى طرابلس، وأقاموا فرقا من الفرسان للقضاء على من يهدد أمن هذا الطريق[59]. ونتيجة لهذا زاد هذا الطريق أمانا لمرتاديه، وبالتالي صار للتجار المصريين أصدقاء مغاربة، فقد كتب أحد تجار الإسكندرية رسالة إلى صديقه بالقاهرة يخبره بأن صديقه الفاسي أرسل إليه قضيبا من الذهب بهدف بيعه، وشراء حرير أندلسي لحسابه[60]. ويكفي أن

نذكر قصة تاجر الإسكندرية مع عبد المؤمن بن علي الذي أقرضه مالا، وغاب نحو ثلاثين عاما، ثم أرجع له المال وقد نما، فعلم عبد المؤمن بأمانته وكافأه[61].

كما امتدت العلاقات التجارية إلى الهند، ويفيدنا المؤرخ عبد الواحد المراكشي بمعلومات نادرة جدا، عندما قرر أنه شاهد في فاس عطرا هنديا[62]. وهذا ما أكدته وثائق الجنيزة، هذا بالإضافة إلى تواجد هؤلاء التجار بميناء سبتة، حيث يقومون بشراء سفن كبيرة وبالتالي يجنون منها أرباحا طائلة[63]، كما كان المغرب الأقصى منقطة يلتقي فيها التجار الوافدون من المشرق من جهة والأندلس من جهة أخرى.

د – المغرب الأقصى وجنوب الصحراء :

كانت منطقة غانة وإقليم السودان (ومعناه الصحيح إقليم السود)[64] ركنا هاما للتجارة الخارجية في المغرب الأقصى، وبقدر ما كانت الصحراء نعمة على التجار باعتبارها المعبر الرئيسي إلى بلاد السودان، فقد كانت نقمة وذلك نظرا لخصائصها القاسية، أهمها رياح الشهيلي، التي يسميها الفرنسيون السيروكو[65]، فتصيب الطريق رمال تسقيها الريح وتنقلها من مكان لآخر[66] فتجفف المياه وتهلك الحيوانات، ورغم هذا فإن حركة القوافل التجارية بقيت مستمرة، تعبر بين المغرب الأقصى إلى السودان والعكس، ثمّ إلى الأندلس. يقول الإدريسي عن تجارة بلاد المغرب إلى

السودان : "يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس"[67].

ومنذ عهد المرابطين كان السودان يمد المغرب الأقصى بالذهب، ويعتبر السلعة الرئيسية المستوردة من بلاد السودان[68]، إضافة إلى الرقيق والعنبر وأشجار الصمغ، ولهذا يصف القزويني السودان الغربي بمنبت الذهب[69]، إضافة إلى بلاد غانة التي ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل[70] كما ينبت الجزر، إضافة إلى تجارة الرقيق أو العبيد.

وكان التبادل بين التجار المغاربة وتجار الذهب في حوض السنغال يوصف بالتجارة الصامتة، حيث يذهب تجار المغرب الأقصى إلى غانة، ويتوجهون إلى أعالي السنغال وفي أماكن معلومة يضرب التجار بطبولهم ثم يضعون سلعهم ويختفون، وعندئذ يخرج الزنوج ويضعون بجوار كل كومة من السلع ما يزنوه نظيرا من الذهب ثم يختفون[71]، أو يعودون لزيادة وزن الذهب في حالة عدم الاتفاق[72].

وقد كان التجار المغاربة يصدرون الثياب الحريرية والكتانية الملونة من فاس والمغرب إلى السودان[73]، إضافة إلى أنواع من القمح الجيد، ولكن أسعاره كما يقول ابن خلدون تزيد نظرا لبعد المسافة وصعوبة النقل[74]، إضافة إلى منتوجات كثيرة، كأدوات الزينة والعطور والأصداف والتحف، كانت تخترق حوض السنغال إلى عالم الصحراء.

كما يعتبر الملح (ﭫ) مادة أساسية يجلبها تجار السودان من المغرب الأقصى، وقد قدر ثمن الملح بين مائتين وثلاثمائة دينار [75].

كما تعامل تجار سجلماسة مع السودان، إذ يذكر العمري نقلا عن ابن سعيد المغربي قوله : "لقد رأيت سكا فيه حق على رجل من سجلماسة لآخر من أهلها باثنين وأربعين ألفا من الدنانير"[76].

وحقيقة الأمر أن الطريق الرابط بين سجلماسة والسودان طويل وصعب يقول عنه ابن حوقل : " وبين المغرب وبلد السودان مفاوز وبراري متقطعة، قليلة المياه، متعذرة المراعي، لا تسلك إلاّ في الشتاء[77]، وهو طريق تجارة الذهب مع أودغست، وغانة بالخصوص"[78].

ويأخذ تجار سجلماسة أنواع التمور والثمار المجففة والمنسوجات والملح إلى بلاد السودان[79]، ويبادلون بوزنها ذهبا أو أكثر على قدر كثرة التجار.

هذه العلاقات التجارية كانت ترعاها الدولة الموحدية وتحرص على العلاقات الجيدة مع جنوب الصحراء، حتى تبقى التجارة مزدهرة[80]، خاصة وأن سكان أودغست لا يعرفون التعامل بالفضة، بل تعاملهم بالذهب الخالص ولكن ليس على شكل عملة[81].

وقد ارتبط المغرب الأقصى بالمراكز التجارية بعدد من الطرق البرية، أهمها الطريق الجنوبي، أو طريق الصحراء، الذي يربط البلاد بمنطقة النيجر والسنغال، ويمر هذا الطريق بمدن

المغرب الأقصى الجنوبية، على غرار سجلماسة ودرعة، متجها إلى أودغست، ثم منحنى النيجر[82]، ويذكر القلقشندي أنه بين سجلماسة وغانة مسيرة خمسين يوما[83]، ويمر هذا الطريق عبر قصور الصحراء، مثل تمنطيت وتيكرارين[84]، لهذا الطريق فرع آخر يبدأ من تارودنت إلى نول ثم أوليل، ويمر عبر موريطانيا، وقد أهمل هذا الطريق نتيجة لإغارة عرب بادية السوس على سابلته[85]، فتحول التجار إلى الفرع الثاني بين سجلماسة والنيجر، رغم أنه كان محفوفا بالمخاطر والصعاب يكابد فيه المسافرون شدة العطش والجوع، فيلجؤون إلى ذبح الجمال لشرب المياه الموجودة في بطونها[86]، وكان أيضا عرضة لهجمات قطاع الطرق واللصوص إلى وقت ما، غير أن حزم ولاة الدولة الموحدية، وقمعهم بشدة لكل محاولة من هذا النوع حال دون مرادهم، وجعل القوافل تزاول نشاطها بكل حرية في نقل السلع، وخير دليل ما فعله والي سجلماسة أبو الربيع ببعض اللصوص الذين اعترضوا طريق القوافل، فقد قطع رؤوسهم وهو يقول :

ولا غروة أن كانت رؤوس عداته جوابا إذا كان السيف رسائله[87].

أما الطريق الشرقي الذي يربط المغرب الأقصى بالمشرق فيحتوي على طريقين : الأول يسير حذو الساحل حتى يصل إلى مصر[88]، والثاني جنوبي ويمر من أودغست وغانة وسجلماسة ومنها تسير القوافل إلى الصحراء، ولكنه تغير نتيجة العواصف الرملية[89]،

يقول ابن حوقل : "وفيها الطريق من مصر إلى غانة، فتواترت الرياح على قوافلهم، فأهلكت غير قافلة... فانتقلوا عن ذلك الطريق، وتركوه إلى سجلماسة[90]، وأصبحت سجلماسة مركزا لجميع التجار ومنها يتوجهون إلى منطقة السودان والعائد منها يمر بسجلماسة، فهي مركز حساس".

كما كانت طرق التجارة تسلك طرق البريد، وأطولها ذلك الذي يربط بلاد الأندلس إلى طنجة، عبر مضيق جبل طارق مجتازا المغرب الأقصى عن طريق سبتة والمغرب الأوسط عن طريق تلمسان ووهران ثم الأدنى عن طريق القيروان والمهدية ثم طرابلس وبرقة حتى يصل لمصر، ثم يتجه إلى بلاد الشام، مارا بالرملة ودمشق، ثم إلى العراق، مارا بالكوفة وبغداد والبصرة مارا بالأهواز، ثم إلى كرمان والهند والصين[91].

وبالتالي فقد لعب الطريقان الجنوبي والشرقي دورا هاما في تنشيط الحركة التجارية في المغرب الأقصى، لارتباطهما بمراكز التجارة، حيث أن القوافل القادمة من الخارج كانت تشق طريقها عبر الطرق الداخلية للبلاد، مارة بالمراكز التجارية، حيث القوافل قادمة من مختلف الجهات، فتبيع منتوجاتها، وتشتري حوائجها، مما نتج عنه انتعاش ورواج في الحركة التجارية[92]، مما انعكس إيجابا على سير الحياة الاقتصادية بإقليم المغرب الأقصى، وساهمت كل هذه الطرق في تنشيط الحركة التجارية، سواء داخل إقليم المغرب الأقصى أو مع مختلف الأقطار المجاورة.

من خلال هذا يتبين أن كل هذه العلاقات كانت تتم تحت رعاية خلفاء الدولة الموحدية، الذين سهروا على ديمومة العلاقات الاقتصادية، مع مختلف الأقطار، كما أن الدينار الموحدي الذي بلغ المكانة العالمية آنذاك، وكونه أساس النقد في التعاملات التجارية مع بعض المدن، يعطي فكرة واضحة عن المستوى العالي والمتميز في العلاقات التجارية، وإن كانت تتعرض في بعض الأحيان إلى هزات عنيفة نتيجة للظروف السياسية والعسكرية، خاصة مع الأندلس وأوروبا.

ملحق 01 :

اهم الطرق التجارية في العهد الموحدي.

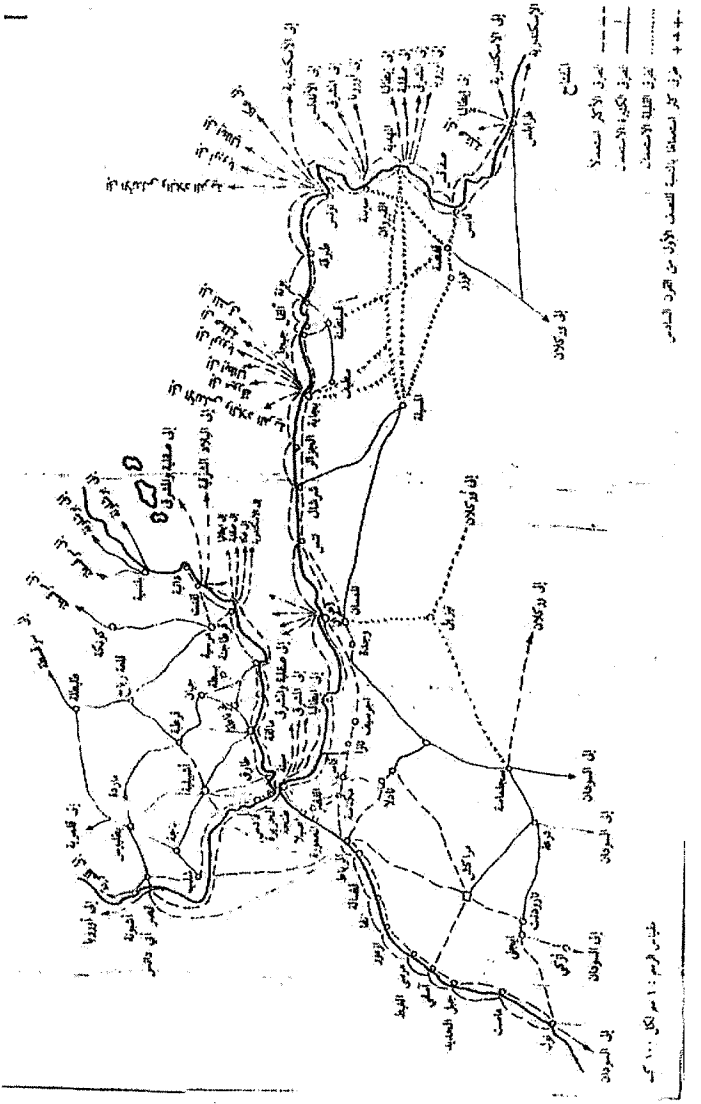

الملحق 02 :

عبد المؤمن بن علي و تاجر الإسكندرية

أخبرني أبو عبد الله ابن عبد الملك، قال حدثني أحد أشياخ الموحدين بحضرة مراكش قال: كان عبد المؤمن في أيام طلبه قد سافر من تلمسان إلى مدينة فاس، يريد الإقامة بها لطلب العلم، و لقاء أهل الفضل، فصحب في طريقه تلك تاجراً من أهل الاسكندرية ذا رحل كبير و مال ، قال التاجر: فرأيت فيّ حسن الوجه، فاستدعيته للصحبة معي فأبى، فلم ازل أرغبه حتى أجاب، فتمادى السير معه إلى فاس، فطلب الكريُّ من التاجر دوابه، فدفع له ما حضره، و نقصه خمسة عشر درهما، فأسلفها له عبد المؤمن ، ثم إن التاجر طلبه لفاس فلم يجده، و لا وجد من يعطي الدراهم فكتب اسمه في زمامه، و ارتحل التاجر على الإسكندرية و بلاد المشرق فغاب نحو ثلاثين سنة ، و كان طول تجارته يشتري بتلك الخمسة عشر درهماً سلعة بناحية، و يجعلها مع رحله، ثم يبيعها، و جعل الله فيها البركة بقوة سعده حتى نمت، ثم إنه بعد طول السنين المذكورة و زوال الفتنة، رجع إلى بجاية بجميع رحله فوجد ابن سليمان قد ولى إمارة البحر بها من قبل عبد المؤمن، و امره أن يثقف اموال التجار الواصلين من الاسكندرية حتى يستعلم أحوالهم، فثقف مال التاجر المذكور و أخذ أزمته بجميع المكتوب فيها و وجهها لعبد المؤمن، و سجن التاجر ، فلم يزل يرغب حتى أخرج من السجن، فاستعجل نفسه بالوصول إلى الحضرة، فالتزم لقاء عبد المؤمن و تعرض له، و ذكر له مسألته، فأحضر عبد المؤمن زمام التاجر، و فتش ما ذكره فوجد مالاً غير مكتوب، و عدد الدراهم الخمس عشرة، و أنّ المجتمع فيها للربح ألف دينار فجزاه على امانته و ما ادعاه من رؤيته خيراً و كتب له ظهيراً بالأمان في أهله و نفسه و ماله و امر بصرف رحله و متى شاء ينصرف إلى محله.

المصدر، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ص81 -82.

الهوامش :

(1) ينظر : ابراهيم القادري بوتشيش، اسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط، منشورات عمادة جامعة مولاي اسماعيل، المغرب، 1997م.

(2) اصطلح الجغرافيون العرب أن يجعلوا المغرب ثلاثة أقسام هي إفريقيا والمغرب الأوسط، ثم المغرب الأقصى، فحدود إفريقية تطابق حدود إفريقيا البيزنطية والمغرب الأوسط يمتد من حدود إفريقية حتى مصب نهر ملوية ويمتد المغرب الأقصى من وادي ملوية حتى آسفي آخر مرسى على البحر المحيط، أنظر : (أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص 11).

(3) المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ظبطه وصححه محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، مصر، ط1، 1949م، ص359؛ حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1980، ص 05.

(❖) داي : رغم ان داي مدينة صغيرة، الا ان القوافل تتوافد اليها من كل مكان، سواء من فاس، أو سجلماسة أو البصرة، انظر : الادريسي، (الشريف أبو عبد الله)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، حققه محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،ص186.

(4) الإدريسي، نفسه، ص93.

(5) الجنحاني الحبيب، المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1977، ص 176.

(6) ابن غازي (محمد العثماني)، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المكتبة الملكية، الرباط، ط3، 1999م، ص24.

(7) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، مخطوط بالمكتبة الوطنية، ورقة 113. ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، د. ت، ص 63؛ يقول القلقشندي : "... والعسل مع كثرته عندهم - أي سكان المغرب الأقصى- حيث يقال أنه لا يستعمل السكر عندهم إلا للغرباء أو المرضى..." أنظر : (القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 05، ص 176).

(8) أحمد جمال طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء الإسكندرية، ط 1، 2002، ص 217.

(9) ابن جبير (أبو الحسن محمد)، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار والمناسك، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط 2، 2000، ص 272.

(10) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 89.

(11) المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تخليص أخبار المغرب، صححه محمد سعيد، مطبعة الاستقامة، مصر، ط 1، 1949، ص 264.

(12) المصدر السابق، ص 275.

(13) كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ص 353.

(14) البكري (أبو عبيد)، جغرافية الأندلس وأوروبا من خلال كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، لبنان، 1968، ص 129.

(15) حسن علي حسن، مرجع سابق، ص 287.

(16) عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، ط 1، 1983، ص 270.

(17) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، القاهرة، ص 352.

(18) حسن علي حسن، مرجع سابق، ص 287.

(19) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ الاقتصادي، دار السلمي، المغرب، ط1، 1965، ص 316.

(20) أحمد جمال طه، مرجع سابق، ص 110.

(21) توفيق اسكندر، بحوث في التاريخ الاقتصادي، مجلة الاجتهاد، عدد 34، 1417 هـ/ 1997م، دار الاجتهاد، بيروت، لبنان، ص 473.

(22) ابراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي، قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، جامعة مولاي إسماعيل، المغرب، ص 96.

(23) نفسه، ص 98.

(24) حول موضوع العلاقات بين المغرب الأقصى وجنوة، أنظر :

Les relations entre Gènes et le Maghreb occidentale au moyen age, Aspects politiques et économiques, Georges Jehel, Université de Picardie Amiens France, 1995.

(25) محمد الأمين البزاز، حول نقل البحرية المسيحية لحجاج الغرب الإسلامي، تأملات في رحلة ابن جبير، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1995، ص 85.

(26) Lagarder – Vicent : Le Commerce des céréales Alandalus et le maghreb aux XI et XII siècles, Sorbonne, Paris, p 109.

(27) محمد الأمين البزاز، مرجع سابق، ص 86.

(28) أحمد جمال طه، الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى، ص 181.

(29) أنظر حول هذا : Blancard (l), Documents inédits sur le commerce de Marseille au moyen âge, Marseille, 2 vol, P 191.

(30) ابراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 288.

(31) أنظر : حسن علي حسن، مرجع سابق، ص 288.

(32) أحمد جمال طه، الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى، ص 182.

(33) محمد الأمين البزاز، المرجع السابق، ص 86.

(34) عز الدين أحمد موسى، مرجع سابق، ص 302.

(35) صالح بن قربة، أثر المسكوكات المغربية على تجارة المغرب المسيحي في القرون الوسطى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995، ص 193.

(36) نفسه، ص 194.

(37) المراكشي، المصدر السابق، ص120. عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1 ،1988م، ض213، حسين بولقطيب، جوائح وأويئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، د ت، ص44.

(38) أحمد جمال طه، الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى، ص 239.

(39) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين)، وفيات الأعيان، حققه إحسان عباس، 1977، ص 283.

(40) المراكشي، مرجع سابق، ص 236.

(41) ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص 72.

(42) طليطلة، دار ملك الأندلس، تقع على ضفة النهر الكبير، وهي مركز بلاد الأندلس لأن منها إلى كل من قرطبة وبلنسية والمرية تسع مراحل، أنظر (البكري، مرجع سابق).

(43) المراكشي (أبو عبد الله)، الذيل والتكملة، تحقيق محمد بن شريفة، لبنان، ص 272.

(44) نفسه، ص 273.

(45) المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 214.

(46) محمد ضاوي، جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قبيل القرن العاشر للميلاد، كلية الآداب، الرباط، 1996، ص 160.

(47) البكري (أبو عبيد)، المصدر السابق، ص 128.

(48) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد 05، ص 119.

(49) ابن عذارى، مصدر سابق، ص 117.

(50) الحميري، مصدر سابق، ص 59.

(51) عبد العزيز خلوق، التجارة البحرية في حوض المتوسط من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي، كلية الآداب، الرباط، ص 173.

(52) ابن سعيد، المصدر السابق، ص 59.

(53) حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 289.

(54) سجلماسة : مدينة بالمغرب الأقصى في أول الصحراء، بنيت عام 140، بينها وبين فاس مرحلة وهي مدينة سهلية مبنية على نهرين وحولها أرياض كثيرة، يربطها طريق تجاري مع السودان وغانة، (البكري، المصدر السابق، ص)149.

(55) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 94.

(56) أحمد جمال طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 242.

(57) ابن عذارى، المصدر السابق، ص 81.

(58) ابن خلدون، المقدمة، ص 137.

(59) مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري المرابطين والموحدين وبني مرين، مطبعة دار النشر، المغرب، ط1، 1982، ص 310.

(60) نفسه، ص 311.

(61) ابن عذارى، مصدر سابق، قسم الموحدين، ص 81. انظر الملحق رقم 2.

(62) المراكشي، المصدر السابق، ص 359.

(63) ابن سعيد، المصدر السابق، ص 74.

(64) وتدل على جميع البقاع التي يقطنها السود وتشمل :

- السودان الغربي : حوض بحر السنغال ونهر غامبيا والحوض المتوسط لنهر النيجر.
- السودان الأوسط : حوض بحيرة تشاد.
- السودان الشرقي : الحوض الأعلى لنهر النيل، أنظر : (دائرة المعارف الإسلامية، المجلد 12، مادة السودان، نقلها للعربية عبد الحميد يونس).

(65) إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 16.

(66) ابن بطوطة (محمد)، رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، الجزء 1، المكتبة التجارية الكبرى، ص 193.

(67) الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

(68) أبو حامد الأندلسي الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 34.

(69) القزويني (زكرياء بن محمد)، آثار البلاد وأخبار العباد، ط بيروت، 1960، ص 124.

(70) ابن الفقيه (أبو بكر)، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث، لبنان، 1988، ص 87.

(71) عن تجارة الذهب بين المغرب والسودان، أنظر : (جميلة بن موسى، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث إلى الخامس هجري (9-11م)، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000.

(72) حسن علي حسن نقلا عن ابراهيم طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، ص 71.

(73) أحمد جمال طه، مصدر سابق، ص 238.

(74) ابن خلدون، المقدمة، ص 116.

(75) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 101.

(**) يقول ابن سعيد : " حصن الملح مبني على ملح مغربي ومنه يأخذ المسافرون الملح إلى بلاد السودان، بينه وبين لمتونة 7 أيام، كتاب الجغرافيا، ص 113".

(76) القلقشندي، المصدر السابق، ص 119.

(77) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 101.

(78) الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص 180.

(79) البكري، المصدر السابق، ص 158.

(80) حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 284.

(81) البكري، نفسه، ص 159.

(82) محمد الهادي شعيرة، المرابطون، تاريخهم السياسي، مكتبة القاهرة، 1969، ص 20.

(83) القلقشندي، المصدر السابق، ج 05، ص 284.

(84) مصطفى أبو أحمد، مرجع سابق، ص 55.

(85) نفسه، ص 307.

(86) البكري، مصدر سابق، ص 149.

(87) المقري، مصدر سابق، ص 249.

(88) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق : عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1964، ص 81.

(89) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، ترجمة : محمد الهادي، مكتبة الخانجي، بيروت، ص 268.

(90) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 86.

(91) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء 04، دار الجبل بيروت، ط 13، 1991، ص 385.

(92) حسن علي حسن، مرجع سابق، ص 278.